

المُلا علي القاري ومنهجه في " الزبدة العمدة" في شرح

قصيدة البردة

MULLA ALI AL-QARI AND HIS METHODOLOGY IN AL-ZUBDAT
AL-UMDAH – A COMMENTARY OF QASEEDA AL-BURDA

أ.د. محمد شفقت اللہ* / شبانہ فرید**

Abstract:

Sharaf al-Din Al-Busiri (608-695AH) was born in Egypt in a family of Berber Origin. He studied in Cairo where he specialized in Hadith and Arabic literature, two disciplines that helped him to be the foremost exponent of Muslim religious poetry. Most of his professional life was spent in the two holy cities Makkah and Madinah, where he became a famous teacher of the holy Quran. After his return to Egypt, he established a Quranic school, where he served until his last breath. Al-Busiri was a good poet who compiled his own Diwan an anthology of poems on a wide range of subjects. His best known work however is al-Burdah (Odd of the cloak) which sooner became the most popular religious qaseeda in the Islamic world, a position which it retains even to this day. There has been a rich tradition of writing commentaries upon this "magnum opus" work of literature. The present study aims to examine Mullah Ali Al-Qari's commentary: al-Zubdah Sharah al-Qaseeda Burdah which is considered one of the best commentaries for al-Burda. It is also tried to study critically style and method of the comment applied by Mulla Ali Qari.

Keywords: Sharaf al-Din Al-Busiri, al-Burdah, Mullah Ali Al-Qari, al-Zubdah Sharah al-Qaseeda Burdah, Egypt, Indian Islam.

إِنَّ مَحَبَّةَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَعْظَمِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ، فَهِيَ النِّعْمَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي مَا أَحْتَاجُ أَحَدٌ مِّنَّا
إِلَى مَشَقَّةٍ - وَلَوْ صَغْرَى لِتَحْصِيلِ هَذِهِ النِّعْمَةِ، بَلْ وَهَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِيَّانَا وَزَيْنَهُ فِي
قُلُوبِنَا بِلَا طَلَبٍ مِنْ خَالِصِ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ وَكَرَمِهِ الْعَبِيمِ.

*أستاذ اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية، بجامعة بهاء الدين زكريا، ملتان

**باحثة الدكتوراه بقسم اللغة العربية، جامعة بهاء الدين زكريا، ملتان

والمسلمون على اختلاف أزمّنتهم وبعّد منازلهم فيما بينهم يشتركون في هذا الشرف الجليل ويكادون يتفانون في إظهار حُبهم الراسخ لسيدهم ومولاهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم مهماً كانت أقاليمهم وأزمّنتهم. ومن الأعمال المعبّرة عن حُبهم البالغ حدّ الوله والعشق شغلهم في مديحه صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه والتسليم بكل ما لديهم من إمكانيات الكلام والتعبير، فيمدحونه صلى الله عليه وسلم في نثرهم و في شعرهم. وفي كلماتهم وفي خطبهم وكتبهم ورسائلهم، وهم على ذلك مجمعون قاطبة إلى يومنا هذا. بداءة من الآن الذي تشرف فيه أول المسلمين بالرؤية على الطلعة الحسنه لسيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي صلى الله عليه وسلم.

وإنّ من أجمل ما صاغه الشعراء في هذه الفترة المباركة حول مديح النبي الكريم صلى الله عليه وسلم هو القصيدة الشهيرة المسماة بـ ”الكواكب الدرّية في مدح خير البرية“ والمعروفة بـ ”القصيدة البردة“ والمشتهرة بأسم ”البراءة“ التي نظمها الإمام شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري الصنهاجي المصري في القرن السابع من الهجرة. ونالت هذه القصيدة من القبول والتداول البالغين والشعبوية والمحبووية التامتين ما لم يبلغ عشر عشرها أحد من المصنوعات الشعرية في لغة من لغات العالم.

فهي قصيدة جيدة ممتازة، وأشهر القصائد في بابها، ومصدر الإلهام والتأثر لكثير من القصائد التي أنشئت بعدها. بحيث كانت جل القصائد التي أبدعت بعدها اجتهد شاعرها أن يسيروا منهج البوصيري في هذه القصيدة في التمثيل الفني الرائع الدقيق. وأتخذت هذه القصيدة حرزاً متداولة بالقراءة والتعليم والإنشاد والحفظ والكتابة بحسن الخط كأنموذج تزئيني والشرح والتخيس والتشطير والتسبيح والمعارضة من أول عهد الناس المحبّين

لنبيهم والشاكرين المتقدمين للمدائح الموجهة إليه صلى الله عليه وسلم بهذه القصيدة.

ومن بين الشروح الجيدة المغنية الغنية التي ألفها المتفوقون في العلوم العربية والفنون الأدبية في مختلف الدهور والأماكن لتبيين معاني هذه القصيدة المباركة "الزبدة العمدة في شرح البردة" لمؤلفه الإمام المجدد المحدث الفقيه القارئ المقرئ مولانا السيد السند الملا علي بن سلطان محمد الهروي المكي. ألف هذا الشرح حال كونه في مهجره بأشرف بلاد الله على الإطلاق مكة المكرمة. وإننا نريد أن نعرف عن هذا الشرح الجليل لهذه القصيدة العظيمة وعن مؤلفها الإمام الملا علي القارئ في هذا المقال، فنقول وبالله التوفيق.

موجز ترجمته

اتفق كل من كتب عنه على اسمه. فهو "علي" ولكنهم حين تعرضوا لاسم أبيه تشعبت بهم السبل^(١) فمنهم من ذكر هو علي بن سلطان بن محمد ومنهم من أثبت اسم أبيه سلطان محمد. قال الشيخ أبو إسحاق بن عبد الله الساقزي الرومي: "هو علي بن سلطان محمد القارئ، وهو من المجاورين هجر من بلدة هراة في العجم، ودأب العجم أن يسبوا أولادهم اسماً زوجاً مثل فاضل محمد وصادق محمد، واسم أبيه سلطان محمد من هذا القبيل."^(٢)

وكان معروفاً بالملا علي القارئ وكلمة "الملا" تعني في خراسان وآسيا الوسطى والهند الشيخ العالم الضليع من العلوم العقلية والنقلية والقائم بتعليم الصبيان وتدریس المعارف الإسلامية وإرشاد الناس وتوجيههم إلى الدين وترغيب الأمراء والرؤساء في إنشاء المدارس الدينية.^(٣)

وذهب د. مجيد خلف إلى أن تعريفه بـ "القارئ" لنسبته إلى "قار" قرية بالري.^(٤) ومما لا شك فيه أن "قار" قرية من قرى "الري" أثبتتها الياقوت في معجبه^(٥) ولكن نسبة الملا علي القارئ إليها غير صحيحة حيث لم

يرد ذكره في مصدر من المصادر الميسرة. ود. مجيد خلف هو متفرد في رأيه هذا. ولم يذكر هذه النسبة أحد من ترجم للملا علي القارئ من علماء التاريخ وتراجم الرجال ولم يوافق في قوله هذا أحد ممن حققوا متون مؤلفاته. والصحيح أنه كان معروفاً بالقارئ لكونه عالماً بالقراءات، وله مؤلفات في ذلك الفن الجليل من التأليفات ما يدل على فضله فيها كما صرح به الشيخ عبدالحليم الجشتي قائلاً:

”وقرأ القرآن بكمة المكرمة على القراء الأجلاء وأتقن
الحفظ أبدع إتقان وحفظ الشاطبية وقرأ السبعة من
طريقها وأتقن القراءات بوجهها وتلا ورتل القرآن العظيم
أحسن ترتيل حتى اشتهر بالقاري وذكر سنده للقراءات في
آخر كتابه ”المنح الفكرية على متن الجزرية“ وكذا في
شرحه على الشاطبية.“^(١)

وذهب إليه الشيخ جمال عيتاني محقق ”مرقاة المفاتيح“ حيث
يقول:

”والقاري تسهيل ”القارئ“ لقب به لأنه كان حاذقاً في علم
القراءات عالماً راسخاً متضللاً فيه، وهذا ما يظهر في مؤلفاته
وشرحاته.“^(٢)

كنيته ولقبه

الكنية اسم يطلق على الشخص تعظيماً له بالنسبة للأولاد أو الآباء
وغالباً ما يكون للولد الأكبر وقد تطلق الكنية لها يلزم الشخص أمر من الأمور
كأبي المعالي وأبي الحكم وأبي الفضل. وهذه الثانية تكون للوصف والمدح، وقد
تكون الكنية للعلمية كأبي طالب وأبي بكر، وكان صاحبناً يكنى بـ ”أبي الحسن“^(١)
ولعله له ولد بهذا الاسم سماً تيمناً باسم الابن الأكبر لعلي ابن أبي طالب لأنه
لا يوجد أي تصريح به في المصادر المتوفرة لدينا.

لقبه: اللقب يقصد منه التعريف بالمستوى به، وقد تكون بوصفه الذي يمتاز به من غيره من الناس وقد يكون لتعظيمه وشهرته وخدماته في سبيل نشر العلوم والمعارف فأطلق عليه لقب "نور الدين" (٩) لعلمه وصلاحه ومؤلفاته في شتيت من العلوم العربية والثقافة الاسلامية وهو اعتراف أهل عصره من أولي العلم وذوي الرأي وعامة الناس بعلمه وفضله وبما أنتج من المؤلفات القيمة.

مولده ونشأته: لم تذكر المصادر تحديداً لتأريخ ولادته إلا أنها اتفقت على أنه ولد بمدينة هراة التي هي مدينة مشهورة من أمهات مدن خراسان التي خرج منها العلماء الكبار من المؤرخين واللغويين والفقهاء والنحاة. ويجدر بالذكر أن وادي مصطفى ذكر دون عزو إلى أي مصدر بأنه هو من مواليد عام ٥٠هـ. (١٠)

نشأ في هراة وبدأ دراساته فيها حيث تعلم القرآن الكريم وحفظه في أيام صغره عن ظهر قلب ولم يكتف بحفظ القرآن بل تعلم تجويده وأخذ القراءات عن شيخه معين الدين بن حافظ زين الدين الهروي ثم تلقى العلوم عن شيوخ عصره في بلده وقرأ الكتب المقررة في مقدمات العلوم. (١١)

مأزالت هراة مركز العلماء والفضلاء وملتحى الطلاب ومهد المدارس منذ قرون عديدة بدون أي توقف مع أن التراجع والاندثار بدءا يظهران في ربوعها أيام طفولة الملا علي القاري إلا أن هراة لم تجف منابعها العلمية ولم تندرس مدارسها الدينية في صغره قاطبة بل توجد فيها وفي خارجها من أرجاء خراسان بقية من نوابغ العلماء الذين يشار إليهم بالبنان فتلقى فيها العلم على عدد من أعلامها منهم الإيجي الصفوي والحفيد التفتازاني. (١٢)

خروجه من هراة ورحلته إلى مكة المكرمة: ولما استولى الصفويون على هراة وقاموا بالقتل والنهب والاستبداد اضطر علماءؤها إلى الخروج عنها والدجأ

إلى مواطن الأمن والسلام من بلاد المسلمين فرحل رحمه الله إلى مكة المكرمة
واتخذها له وطناً ويذكر هجرته هذه قائلًا:

”الحمد لله على ما أعطاني من التوفيق والمقدرة على الهجرة
من دار البدعة إلى خير ديار السنة التي مهبط الوحي وظهور
النبوة.“ (١٣)

ولم يذكر القدماء ممن ترجموا له سنة هجرته من هراة إلى مكة إلا أن
الشيخ جمال عيتاني محقق مرقاة المفاتيح كتب بهذا الصدد:

”والمؤرخون لا يذكرون تاريخ هجرته من بلدة إلى مكة إلا
أنه قد دخل مكة المكرمة بعد العام ٥ . وانتهاز الملاء علي
القاري فرصة إقامته في البلد الحرام وشمر عن ساق الجد في
الأخذ عن علماءها المواطنين والواردين إليها فأخذ من
الشيخ ابن حجر الهيثي ، وعلى السقني الهندي، والشيخ
عطية السلمي، وعبدالله السندي، ومحمد بن علي بن أحمد
بن سالم الجناحي وقطب الدين النهروالي وميركلان
وغيرهم.“ (١٣)

واستفادته من جهابذة العلماء منذ بداية التعلم ورغبته إلى تحصيل
العلم ومواهبه الذاتية من حيث الإدراك جعل منه عالماً فذاً شغل جلاً أوقات
حياته في الإفادة والتدريس والتأليف في شتى ميادين العلم .

تلاميذه: وكان رحمه الله مواظباً على أوقاته في التأليف والتدريس
والإفادة وما زال يدرس ويؤلف، واستفاد خلق كثير من علمه الغزير الذي جمعه
من نواحي العلم من العرب والعجم فتتلمذ عليه كثير من الناس، ومن كبار
تلاميذه الشيخ محي الدين عبدالقادر الطبري الشافعي المكي الخطيب ببلد
الله الحرام ت ٥٠، والقاضي عبدالرحمن بن عيسى العمري المرشدي المكي
الحنفي شيخ الاسلام خاتمة العلماء المفتين ببلد الله الحرام استشهد سنة ٥٠٥

، ومحمد أبو عبد الله الملقب بـ عبد العظيم المكي الحنفي ت ٥٠ هـ ، ومعظم الحسيني البلخي وسليمان بن صفى الدين الجامي. (١٥)

وكان رحمه الله زاهداً عفيفاً متقللاً قانعاً. قليل الالتفات إلى الأمراء والرؤساء ، كثير العبادة ، شديد الورع ، حسن النية ، مبتنعاً عما لا يحق له ، شديد الالتزام بأكل الحلال ، وكان يأكل من كسب يمينه وعرق جبينه ، وكان يكتب في كل عام مصحفاً وعليه طرر من القراءات والتفسير ، فيبيعه فيكفيه قوته من العام إلى العام. (١٦)

مؤلفاته: كان رحمه الله ذا خبرة شاملة لشتى العلوم وميادينها ، فأفاد في كثير من العلوم الدينية والعربية فصنّف فيها فأجاد وأضاف إلى المكتبة العربية مؤلفات قيمة ولا يرى فيها أثراً للاستعلاء والانتفاخ في العلم لأن المُلّا علي القاري كان عالماً متواضعاً طلب العلم ابتغاءاً لرضا الله ، وأفاد الناس ارضاءً لله ، وألف ما أُلّف احتساباً عند الله ، وأما عدد مؤلفاته فقد اختلف فيه فعُدّ له البغدادي سبعة ومائة كتاب (١٤) وعدّ له عبد الحليم الجشتي أربعة وثلاثين ومائة كتاب (١٨) ونسب اليه بعض من المتأخرين أكثر منها ، فأعدّ أحد الباحثين في مركز ماجد دبي فهرسة لمؤلفات الامام القاري فأثبت له فيها ما يتجاوز مائتين وستين كتاباً. فنذكر بعضاً منها على سبيل المثال كي يحصل لدى قارئ هذه الورقة معرفة تشعب علوم المُلّا علي القاري. فمن تصانيفه رحمه الله:

١. " الأحاديث القدسية والكلمات الأنسية " ط . الأستانة هـ .
٢. " الأزهار المنثورة في الأحاديث المشهورة "
٣. " استيناس الناس بفضائل ابن عباس " ط . دار الصحابة للتراث . طنطا .
٤. " الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة " ط . المكتب الاسلامي .
٥. " تخريج أحاديث شرح العقائد النسفية "

٦. "تزيين العبارة لتحسين الاشارة" ط . دار الصحابة للتراث . مضمن رسائل ابن عابدين .
٧. "تسليية الأعمى عن بلية العى" ط . دار الصحابة للتراث . م .
٨. "التصريح في شرح التسريح" ط . دار عمار للنشر - عمان م .
٩. "تطهير الطوية بتحسين النية" ط . دار الصحابة للتراث - المكتب الاسلامي م .
١٠. "تعليقات القاري على ثلاثيات البخاري"
١١. "الجمالين على الجلالين"
١٢. "جمع الوسائل في شرح الشمائل" ط . مصطفى البأبي الحلبي ه .
١٣. "الحذر في أمر الخضر" دار القلم - دمشق م .
١٤. "الحرز الثمين للحصن الحصين لابن الجزري" ط . مطبعة الميري - مكة المكرمة ه .
١٥. "الحزب الأعظم والورد الأفخم لانتسابه واستناده الى الرسول الأكرم ﷺ" ط . بولاق ه .
١٦. "الحظ الأوفر في الحج الأكبر" ط . ندوة العلماء - لکنو ه .
١٧. "شرح الشفاء في حقوق المصطفى" ط . الأزهرية المصرية ه .
١٨. "شرح صحيح مسلم"
١٩. "شرح مغني اللبيب عن كتب الأعراب"
٢٠. "شرح الهداية للمرغيناني"
٢١. "الفتح الرباني في شرح تصريف الزنجاني" ط . المكتبة العامرة اسطنبول ه .
٢٢. "مراقبة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" ط . دار احياء التراث العربي م .
٢٣. "المنح الذكورية بشرح المقدمة الجزرية" ط . دار احياء الكتب العربية مصر ه .
٢٤. "الناسخ والمنسوخ من الحديث"

وفاته

توفي المّلا علي القاري بمكة المكرمة في شوال عام أربع عشرة وألف من الهجرة، ودفن في مكة المكرمة في المعلاة. ^(١٩) وكان الناس يعرفونه من كل حدب وصوب لانتشار مؤلفاته في كل ناحية من البلاد الاسلامية، ذكر المحبّي:

”ولمّا بلغ خبر وفاته علماء مصر صلّوا عليه بالجامع الأزهر صلاة الغيبة في مجمع حافل يجمع أربعة آلاف نسمة فأكثر.“ ^(٢٠)

فإقامة علماء جامع الأزهر صلاة للغائب عليه بسماع خبر وفاته وشهود الحشد الكبير من الناس فيها يدل على منزلته الرفيعة بينهم وشهرته الواسعة في الأقطار الاسلامية.

منهجه في شرح البردة ومزاياه

إن شرح البردة للمّلا علي القارئ من حيث هو كتاب مصنف كامل من بدايته إلى نهايته مادته مزودج لمتنوع من الآيات، والأحاديث، والآثار والأخبار، والأشعار، وأبيات المعاني من الجّد والهزل، والطرائف، والشروح والتفاسير، والتحقيقات الصرفية والنحوية، والتعليقات والتعقيبات، والردود والمناقشات، ففي هذه الحصّة من مقالنا نورد بعض الأمثلة على مختلف القضايا العلمية والأساليب عند المّلا علي القارئ في هذا الشرح.

فمنهجه الإجمالي في هذا الشرح هو أنه:

- أ يأتي بالتركيب النحوية والمعاني المعجبية والاشتقاقات الصرفية.
- ب ثم يستشهد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية.
- ت وفي النهاية يبيّن المفهوم السياقي للبيت الكامل.
- ث ثم يذكر وجه الربط والالتئام بين الشعريين للبردة من حيث الاتساق والانسجام كأنها بنيت من نسيج واحد، ولعلها من مزايا الشارح من بين شرّاح البردة الآخرين.

١. المعالجة النحوية في تبیین المراد من الكلمة

من دأبه رحمه الله أنه يأتي في أول أمره في شرح بيت ببيان التحقيق النحوي وتركيب الجملة حسب قوانين النحاة قبل كل شيء ثم يتعرّض إلى أيّ جهة أخرى. قال رحمه الله في شرح أول بيت من البردة الشريفة أعني:

أَمِنْ تَذَكُّرِ جَيْرَانٍ بِذِي سَلَمٍ
مَزَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مُقَلَّةٍ بِدَمٍ

يقول الملا علي القارئ: "همزة الاستفهام للتقرير منصبة على "مزجت" وقدمت للصدارة، "ومن تذكر" متعلق بـ "مزجت" قدم للحصر ولأنه يكون مفتوح هذه القصيدة المباركة مشتقاً على لفظ "أَمِنْتُ" فيكون إشارة إلى أن من ألزم قراءتها أمن من جميع الآفات والبليات. "وتذكر" مصدر مضاف إلى مفعول، وفاعله محذوف أي من تذكرك جيراناً وهو جمع جار أو مجاور، وهو أولى بالمقام. "وبذي سلم" أي صاحب شجرة في البداية متعلق بمحذوف أي كائنين في مكان فيه هذه الشجرة، وهو بفتح اللام وروي بكسرهما، و"دمعاً" ماء البكاء مفعول به لـ "مزجت" و"جرى" صفة أي دمعاً جارياً" من مقلة" متعلق بـ "جرى" وهو داخل العين، و"بدم" متعلق بـ "مزجت".

٢. المعالجة الصرفية لكلمات القصيدة

إنه رحمه الله يعالج كلمات البردة بالتحقيقات الصرفية، فقال في شرح بيت البوصيري:

فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ أَكْفَفَا هَمَّتَا
وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفِقُ بِهِم

يقول الملا علي القارئ: "قال الحنصي في شرح القصيدة يجوز "كفاً" و"أكففاً" بالإدغام والفتك وهو وهم منه إذ صرحوا بوجوب إدغام مثله في كتب الصرف. وقال عصام في شرحها: فكّه خلاف القياس"

٣. البيان الإجمالي لمعنى البيت

بعد الإفادة حول بيان التركيب النحوي للبيت وبيان حقيقته
الصرفية يشع الملاء علي القارئ في بيان المعنى الإجمالي للبيت، فمثلاً في شرح
بيت البوصيري:

لَوْلَا الْهُوَى لَمْ تُرَقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ
وَلَا أَرَقْتَ لِذِكْرِ الْبَانَ وَالْعَلَمِ

يقول الملا علي القارئ: " الهوى " مصدر هواه أحبه و " الإراقة " الصب و " الطلل " ما شخص من أثر الدار من نحو اللبن والأحجار، و " أرق " بالكسر بمعنى السهر و " البان " نوع من الشجر يشبه به القد وطول القامة وحسن الهيئة وطيب الرائحة و " العلم " العلامة والجبل، واللام فيهما للجنس أو للعهد أي الذين في منازلهم. قيل: المراد جبل إضم، وكذا التنوين عوض عن المضاف إليه أي على طللهم، والظاهر أن يكون بتقدير مضاف أي على تذكر الطلل وإلا فلا وصول إلى منزل المحبوب، ولا حوصل على أثر هذا المطلوب، وكلمة " لا " إما زائدة للعطف على المنفي بتأويل لم ترق " بلا أرق " لأن " لم " لم تدخل على الماضي إما نافية مع أنها لا تدخل على الماضي بلا تكرار " لا "، لما تقدم من التأويل المعنى يستدل على حصول الحب تسهر لذكر جبل وشجر، فلاح أن دمك قطرة من بحر الهوى وسهرك شعلة من نار الجوى وفيه إيحاء إلى ما قيل شعر:

وما حُب الديار شغفن قلبي
ولكن حب ما سكن الديارا

٤. الاستشهاد بالقرآن والحديث النبوي الشريف

إنه رحمه الله يكثر الاستشهاد في بيان المعاني بالقرآن الكريم
والحديث النبوي الشريف، فمثلاً يقول في بيت البوصيري:

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدْتَ
بِهِ عَلَيْكَ عُدُوْلُ الدَّمْعِ وَالسَّقْمِ

يقول الملا علي القارئ: "الاستفهام الإنكاري التوبيخي أو للاستبعاد والتعجب، والفاء فصيحة في جواب شرط محذوف يعني إذا دلّت الأدلة على المطلوب الذي هو حب المحبوب وتنوين "حبا" للتعظيم، و"ما" مصدرية، وضمير "به" للحب، و"عدول الدمع" و"السقم" كقوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾"

وكذلك يقول في بيت آخر

عَدْتُكَ حَائِي لَا سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ
عَنِ الْوُشَاةِ وَلَا دَائِي بِمُنْحَسِمٍ

"يقال: عدى عنه عدواً جاوزه، وإليه عدي عدوي سرى إليه سراية، وعلى كل تقدير لابد من القول بحذف حرف الجر، والمشهور تقدير "إلى" ليكون دعاء عليه إشارة إلى ماورد في الحديث النبوي الشريف: "من عبّر أخاه بذنب لم يمت حتى ابتلاه الله تعالى"."

٥. بيان الربط ووجه الالتئام ما بين الأبيات

من مزايا شرح الملا علي القارئ رحمه الله أنه يجتهد في بيان الربط ووجه الالتئام ما بين الأبيات من القصيدة فمثلاً في هؤلاء الأشعار:

فَلَا تَرْمُ بِالْمَعَاصِي كَسَرَ شَهْوَتِهَا
إِنَّ الطَّعَامَ يُقْوِي شَهْوَةَ النَّهْمِ

يقول الملا علي القارئ: "النهم" بفتح الهاء إفراط الشهوة في الطعام وبكسرها صفة منه. والمعنى إذا أردت ردّ الجباح لإرادة التخلص من الجناح، فلا تطلب كسر شهوتها بالمناهي، ولا حسم شوبها بالملاهي، يعني لا تظن أنك إذا شبعتها بمقصوداتها امتنعت عن مضراتها، فإن الحرص يزداد

وجودان ما ابتغاه والطبع يتقوى بما يلائم مقتضاه كمن ابتلي بالعمدة النارية أو الجوعية البقرية فإنه يزداد قوة مرضه بالأكل كالبهائم والمستسقى يزيد بالشرب الدائم، فالمعاصي تزيد شهوتها ولا تنقصها وتفسدها ولا تصلحها، ومن المشهور بين الأطباء الأشباح أن المداوة بالتنقية والتقوية، فالحاصل أن ليس لها دواء إلا الاحتماء فإن لها حبب المألوف ابتلاء، ويدل عليه قوله: "وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تَبُهَّلَهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَفْطَمَهُ يَنْفَطِمَ." ثم بدأ في شرح هذا البيت ولما انتهى قال في نهاية الشرح: "النفس مثل الطفل الرضيع إن تركته على الرضاع ينشأ على حبه بحكم الطباع فيرضع في غير أوانه ويفسد مزاجه بالأخلاق الردية وإن تطفه بتغيرها عن الثدي بالحيل وتأنيسه بلذيق الأطعمة على المهل ينظم. وفي سلك الخير ينتظم، ونعم ما قال: "النفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع" وهذا ما قال في البيت التالي:

فَأَصْرَفُ هَوَاهَا وَحَاذِرٌ أَنْ تُؤَلِّيَهُ
إِنَّ الْهُوَى مَا تَوَلَّى يُصِمُّ أَوْ يَصِمُّ^(٢٠)

الخاتمة

نذكر في الخاتمة الخصوصيتين النادرتين لشرح الملا علي القارئ علي القصيدة البردة المسماة بـ "الزبدة العمدة في شرح البردة"، وهما كما تلي:

١. الإتيان بالتركيب النحوي والتحقيق الصرفي علي سبيل الإيجاز والاختصار، فإن القارئ وإن كانت له يد طويلة في علوم العربية ولكنه لم يأت بالتفاصيل المملة المطنبة في هذا الصدد كما هو دأب بعض الشراح الذين يطنبون الكلام بدون جدوى، بل أتى الملا علي القارئ بالمعارف النحوية والصرفية علي سبيل يستفيد منه البارعون في علوم العربية كما لا يمل منه الطالب المبتدئ في نفس الوقت.

٢. بيان الربط والالتئام بين البيتين، ولعل هذه الخصوصية مما انفرد به الملا علي القارئ، فإن بيان الربط والعلاقة السياقية بين أبيات القصيدة شيء نادر نفيس لا يوجد عند أكثر شراح المتن الشعري العربية.

الهوامش

١. لقد ذكر عبد الملك العصامي (ت ١١١١هـ) في "سبط النجوم العوالي والتوالي"، ص: ٣٩٣/٢ هو علي بن سلطان. وحذا حذوه بهذا الصدد محمد مرتضى الزبيدي في مقدمة "تاج العروس"، ص: ٣٠٣/١. والشيخ محمد عبد الحئي الكنوي في "طرب الأمثال" ص: ٢٢٥. وصرح الشيخ عبد الحليم الجشتي بأنه قرأ اسم أبيه سلطان محمد في المصحف بخط الملا علي القارئ وكذلك في جميع مؤلفاته المطبوعة في الآستانة والهند ومصر. لينظر البضاعة المزجاة لمن يطالع المرقاة، ص: ١
٢. البضاعة المزجاة، ص: ١
٣. وللمزيد من التفصيل عن معاني كلمة "الملا" لينظر "برهان قاطع" ٤٠٣٠/٢، وللمزيد من التعرف على دور الملا في المجتمع لينظر "الموسوعة العربية العالمية" حول مادة: "الملا"
٤. لينظر شم العوارض في ذم الروافض، لملا علي القارئ، بتحقيق: د. مجيد خلف، ص: ٦
٥. معجم البلدان، ص: ٢٩٥/٢
٦. البضاعة المزجاة، ص ٣
٧. ترجمة الملا علي القاري في مرقاة المفاتيح: ١٦/١
٨. المرجع نفسه
٩. معجم المؤلفين: ٤/١٠٠ والأعلام: ١٢/٥

١٠. لينظر الملاً علي القاري رحمه الله ، حياته وأعماله:
<http://www.alukah.net/culture/0/11207/3> \ تاريخ الوصول: ٥

يناير ٢٠١٨.

١١. خلاصة الأثر: ١٨٥/٣

١٢. شم العوارض ٢٣

١٣. المرجع نفسه ص ٥٠

١٢. مرقاة المفاتيح ص ١٤

١٥. المرجع نفسه

١٦. الأعلام: ١٢/٥

١٤. هدية العارفين: ١/٤٥٢

١٨. فهرسة لمؤلفات الامام القاري المطبوعة من مركز جبعة ماجد دبي، ص: ٣

١٩. خلاصة الأثر: ١٨٥/٣

٢٠. المرجع نفسه.

٢١. كل هذه العبارات من شرح الملا علي القارئ مقتبسةً من مخطوط ”الزبدة العبدية“ التي قيمت أنا (شبانہ فرید) بتحقيقها وتدوينها كمتطلب للدراسة